معالم منهج ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري

إعداد الباحث
محمد بن حمد العتيبي
باحث دكتوراه في الحديث الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين . **أما بعد:**

فهذا بحث مختصر مع شرح من أهم شروح «صحيح البخاري»، بل هو من أوائل شروحه المطبوعة [1]، وهو شرح الإمام ابن بطال، مع التأمل في بعض الأحاديث التي اعتنى بشرحها، واستخراج منهجه من خلال النظر في تلك الأحاديث، ومن المعلوم أن المنهج الذي يستَنْتَجُ من كتب العلماء، لا يكون دقيقا إلا إذا كان شاملا لجميع كلام ذلك العالم في كتابه، أما هذه الوريقات فإنها

(١) سبق شرح ابن بطال شرح الخطابي المسمى «أعلام الحديث شرح الجامع الصحيح» لكنه أشبه ما يكون بشرح الغريب، مع عدم استيعابه لجميع الأحاديث، والاختصار الذي سار عليه الخطابي رحمه الله تعالى .

مقتصرة على بعض أحاديث الكتاب، لذا سميته: «معالم منهج ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري» .

وقبل الولوج في المقصود، قدمت بمقدمة، عرَّفت فيها بالإمام ابن بطال، ونشأته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ووفاته .

ثم تكلمت على كتابه: «شرح صحيح البخاري»، وأهم ما تميز به إجمالا، وطريقته التي سار عليه في مصنفه .

وبعدها كان الانتقاء لثلاثة أحاديث كانت محل الدراسة، واستخراج منهجه منها بعد ذلك، وختمته بذكر أهم المصادر والمراجع التي استعنت بها، ومن ثم جاءت خطة البحث كالتالي.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث ، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: ترجمة ابن بطال ، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ومولده، ونشأته

المطلب الثاني: شيوخه، وتلاميذه

المطلب الثالث: مذهبه، وعقيدته.

المطلب الرابع: مؤلفاته.

المطلب الخامس: ثناء العلماء عليه.

المطلب السادس: وفاته.

المبحث الثاني: دراسة حول شرح ابن بطال لصحيح البخاري، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب.

المطلب الثاني: منهج ابن بطال الذي سار عليه (إجمالا).

المطلب الثالث: مميزات شرح ابن بطال على صحيح البخاري.

المطلب الرابع: المؤاخذات على شرح ابن بطال لصحيح البخاري.

المطلب الخامس: طبعات الكتاب.

المبحث الثالث: نماذج من شرح ابن بطال على صحيح البخاري، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: النموذج الأول.

المطلب الثاني: النموذج الثاني

المطلب الثالث: النموذج الثالث

المطلب الرابع: معالم منهج ابن بطال من خلال الأحاديث السابقة

الخاتمة وأهم النتائج

فهرس المصادر والمراجع

المبحث الأول

ترجمة ابن بطال [١]

المطلب الأول: اسمه، ومولده، ونشأته:

هو: علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، أبو الحسن، يعرف بابن اللجام [٢]، أصله من قرطبة في بلاد الأندلس وفيها مولده ونشأته، ثم رحل إلى بلنسية بعد فتنة وقعت هناك [٣] .

المطلب الثاني: شيوخه، وتلاميذه.

أولا: شيوخه: تتلمذ على يد كثير من العلماء؛ منهم:

١- المهلب بن أبي صفرة .

٢- أبو عمر الطلمنكي .

---

(١) مصادر ترجمته: «ترتيب المدارك» للقاضي عياض ١٦٠/٨، و«الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» لابن بشكوال ص٣٩٤، و«الديباج المذهب» لابن فرحون ١٠٥/٢، و«تاريخ الإسلام» ٧٤١/٩، و«سير أعلام النبلاء» ٤٧/١٨، و«توضيح المشتبه» ٣٦٠/٦، و٤٥/٩، و«ديوان الإسلام» لابن تغري بردي ٣٤٠/١، و«شذرات الذهب» ٢١٤/٥، و«الأعلام» للزركلي ٢٨٥/٤، و«معجم المؤلفين» لعمر كحالة ٨٧/٧، و«شجرة النورة الزكية» لابن مخلوف ١١٥/١

(٢) وقع في «ترتيب المدارك»: ابن النجام (بالنون)، وفي «الصلة»: ابن اللحام (بالمهملة)، والصواب ما أثبتناه، لموافقته لجل كتب التراجم، وللمهنة التي نسب إليها، وهي: عمل لجام الخيل . كما ذكرها بعض من ترجم له .

قال ابن ناصر الدين: "وابن بطال علي بن خلف يعرف بابن اللجام بكسر اللام مع التخفيف" . «توضيح المشتبه» ٣٦٠/٦، لكنه كرره في موضع آخر من كتابه، وقال: "(النجام) بالجيم المشددة، وهو أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، ثم البلبيسي، يعرف بابن النجام، وهو صاحب «شرح صحيح البخاري»" . «توضيح المشتبه» ٤٥/٩

(٣) كانت مصادر ترجمته شحيحة في ذكر تفاصيل نشأته، وطلبه للعلم، ولم تذكر أيضا سنة ولادته .

٣- أبو عمر بن عفيف .

٤- أبو المطرف القنازعي .

٥- يونس بن عبد الله القاضي .

٦- أبو محمد بن بنوش .

ثانيا: تلاميذه:

قال القاضي عياض، وابن بشكوال: "أخذ عنه جماعة منهم: أبو داود المقرئ، وعبدالرحمن بن بشر" .

المطلب الثالث: مذهبه، وعقيدته.

عرف ابن بطال بأنه من كبار علماء المالكية، والمتأمل في شرحه للصحيح، يرى ذلك بجلاء، وكثرة نقله عن الإمام مالك، وتحرير مسائل المذهب المالكي، وهو المذهب السائد عند أهل الأندلس في ذاك الزمان، وختم الذهبي ترجمته في «السير» بقوله: "كان من كبار المالكية" .

أما عقيدته [(١)]؛ فإن الناظر في شرحه للصحيح يرى أنه سلك مسلك التأويل في آيات الصفات، فقد قال عند حديث أنس في النار: ((**حتى يضع فيها قدمه**)) قال: "أي: ما قدم لها من خلقه، وسبق لها به مشيئته، ووعده ممن يدخلها" [(٢)].

وشدد الإمام الذهبي استنكاره عليه فقال: "قد أبان عن جهل حين شرح

(١) جمع بعض الباحثين أقوال ابن بطال العقدية في شرحه على البخاري، ودرسها، وعرض منهجه في تقريرها، في رسالة للماجستير وهي للطالب: سعيد بن مشبب القحطاني، سنة ١٤٣٥هـ، في جامعة الملك سعود .

(٢) «شرح صحيح البخاري» ١٢٠/٦

كتاب (التوحيد والرد على الجهمية) في «الصحيح»، والجهمية أشهر من أن ينبه عل بدعتهم وعلتهم ... فظن ابن بطال أن الجهمية هم المجسمة [١]، وأن مقصود البخاري الرد على المجسمة، فقال: تضمنت ترجمة هذا الباب أن الله واحد وأنه ليس بجسم [٢] . فانظر إلى سوالفهم، وما علمنا أحدا من الجهمية قال بأن الله جسم، بل هم يكفرون من جسَّم، وبالجملة فلا خير في الطائفتين" [٣] .

وقال عنه ابن بشكوال: "وكان ينتحل الكلام على طريقة الأشعري"، وصدر ترجمته الصفدي في «الوافي بالوفيات» بقوله: "ابن بطال الأشعري"، وقال نحوه ابن تغري بردي [٤].

---

(١) المجسمة هم فرق كثيرة، ادعت أن لله جسما كجسم المخلوقين، وتسمى بعضها بـ (الحشوية)، و(المشبهة)، وألصق بعض المبتدعة هذه التهم على أهل السنة لإثباتهم ما أثبته الله لنفسه ورسوله ح، من الوجه واليد والقدم، ونحوها من آيات الصفات . ينظر: «الملل والنحل» ٨٢/١

(٢) وتتمة كلام ابن بطال: "لأن الجسم ليس بشيء واحد؛ بل هو أشياء كثيرة مؤلفة، ففى نفس الترجمة الرد على الجهمية فى قولها: أنه تعالى جسم" . «شرح صحيح البخاري» ٤٠٢/١٠

(٣) «تاريخ الإسلام» ٧٤١/٩

(٤) الأشاعرة فرقة تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري، وهم يأولون الأسماء والصفات، بل ولا يثبوت منها إلى سبعة، ومعلوم أن أبا الحسن مر بعدة أطوار في حياته، الطور الأول: تمذهبه على طريقة أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة (ومكث فيها ٤٠ سنة)، والطور الثاني: تبرؤه من الاعتزال، والرد على الجبائي، لكنه نحى إلى تأويل كثير من آيات الصفات، واتبع طريقة ابن كلاب في إثبات الصفات السبع (الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام)، والطور الثالث: الرجوع إلى مذهب السلف في آيات الصفات، وإثبات جميع الصفات، بلا تكييف، أو تحريف، أو تعطيل .

فنسبت الأشاعرة إليه في طوره الثاني، ولا شك أن هذه النسبة غير دقيقة، إذ يخيل أن أبا الحسن كان مقرا بالتأويل طول عمره، وهذا ما تبرأ هو منه في آخر عمره، بل وألف كتابه «مقالات الإسلاميين»، وكتابه «رسالة إلى أهل الثغر» المليئان بما يدل على رجوعه إلى مذهب السلف في الأسماء والصفات، فلا تصح إليه هذه النسبة بحال، فالرجل قد تاب ورجع إلى التسليم في إثبات

المطلب الرابع: مؤلفاته.

لم يذكر العلماء من مؤلفاته إلا ثلاثة كتب:

١- «شرح صحيح البخاري» [(١)] .

٢- «الزهد والرقائق»

٣- «الاعتصام في الحديث» [(٢)] .

المطلب الخامس: ثناء العلماء عليه.

قال القاضي عياض: "كان نبيلا، جليلا، متصرفا [(٣)]" .

قال ابن بشكوال: "كان من أهل العلم والمعرفة، مليح الخط، حسن الضبط، عني بالحديث العناية التامة" .

قال ابن تغري بردي: "الشيخ الإمام العلامة أبو الحسن، ابن اللجام القرطبي".

قال ابن مخلوف: "الإمام العالم الحافظ، المحدث الراوية الفقيه" .

المطلب السادس: وفاته.

اختلف المترجمون له في سنة وفاته، فذكر القاضي عياض أن وفاته كانت سنة (٤٤٤هـ) ببلنسية، وقال الذهبي أن وفاته كانت سنة (٤٤٩هـ)، في السنة التي مات فيها أبو العلاء المعري، وأبو عثمان الصابوني [(٤)]، وشك ابن مخلوف في سنة وفاته فقال: "مات سنة (٤٤٤هـ) أو سنة (٤٤٩هـ)" .

الأسماء والصفات، والتفويض في كيفيتها، وهو مذهب أهل السنة والجماعة . ينظر: «موسوعة الفرق والأديان المعاصرة» ٨٣/١

(١) سيأتي الحديث عنه .

(٢) هو والذي قبله ذكرهما عمر كحالة، ولم يطبعان على حسب علمي .

(٣) كذا في «ترتيب المدارك»، ولعل الصواب: (متصوفا)، والله أعلم .

(٤) ينظر: «تذكرة الحفاظ» ٢١٦/٣

وغالب من ترجم لابن بطال ذكر أنه توفي في سنة (٤٤٩هـ)، وبه جزم ابن بشكوال.

المبحث الثاني
دراسة حول شرح ابن بطال لصحيح البخاري

المطلب الأول: اسم الكتاب.

ذكر المترجمون لابن بطال «شرح صحيح البخاري» من ضمن مؤلفاته، واكتفوا بهذا الاسم، وبالرجوع إلى صور المخطوطات، يتبين أن التسمية حصل فيها اختلاف يسير، إذ جاء الاسم في النسخة المطبوعة: «شرح صحيح البخاري»، أما في المخطوطات التي وقفت عليها جاء الاسم بـ: «شرح الجامع الصحيح وذكر أقوال العلماء واختلافهم مما جمعه ولخصه من مذاهبهم أبو الحسن علي بن خلف بن بطال» [(١)]، وجاء نحوه في النسخ الأخرى، وغالب من نقل عن ابن بطال اختصر اسم شرحه بعبارات مختلفة كقولهم: (وشَرَحَ الصحيح، وشرحه على الصحيح، قال في شرحه للصحيح) ونحو هذه العبارات، يضاف إلى ذلك أن ابن بطال لم يقدم لشرحه بمقدمة يستفاد منها تحديد اسم كتابه .

وقد اعتمد محقق الكتاب على ثلاثة نسخ [(٢)]:

الأولى: نسخة كاملة عتيقة من محفوظات دار الكتب المصرية، في أربعة مجلدات من القطع الكبير، ونسخت سنة (٦٧٨ هـ) .

الثانية: نسخة المكتبة الأزهرية، في أربعة مجلدات، ناقصة الثاني، وكان الفراغ من نسخها سنة (٧٨٠ هـ) .

الثالثة: نسخة مكتبة الزاوية الحمزاوية، ولم يوجد منها إلا المجلد الأخير (الرابع)، وكتبت هذه النسخة سنة (٨٨٦ هـ) .

---

(١) وهذا العنوان جاء كاملا في نسخة مكتبة (مانيسا) .

(٢) مقدمة التحقيق لشرح ابن بطال ١٨/١

وعند استعراض المحقق لمصورات المخطوطات في أول الكتاب، لم يستعرض صفحة العنوان، فإما أن تكون النسخ التي اعتمدها خالية من صفحة العنوان، أو أنه لم يضعها ضمن مصوراته، فالإشكال ما زال قائما في المصدر الذي اعتمد عليه في تسميته .

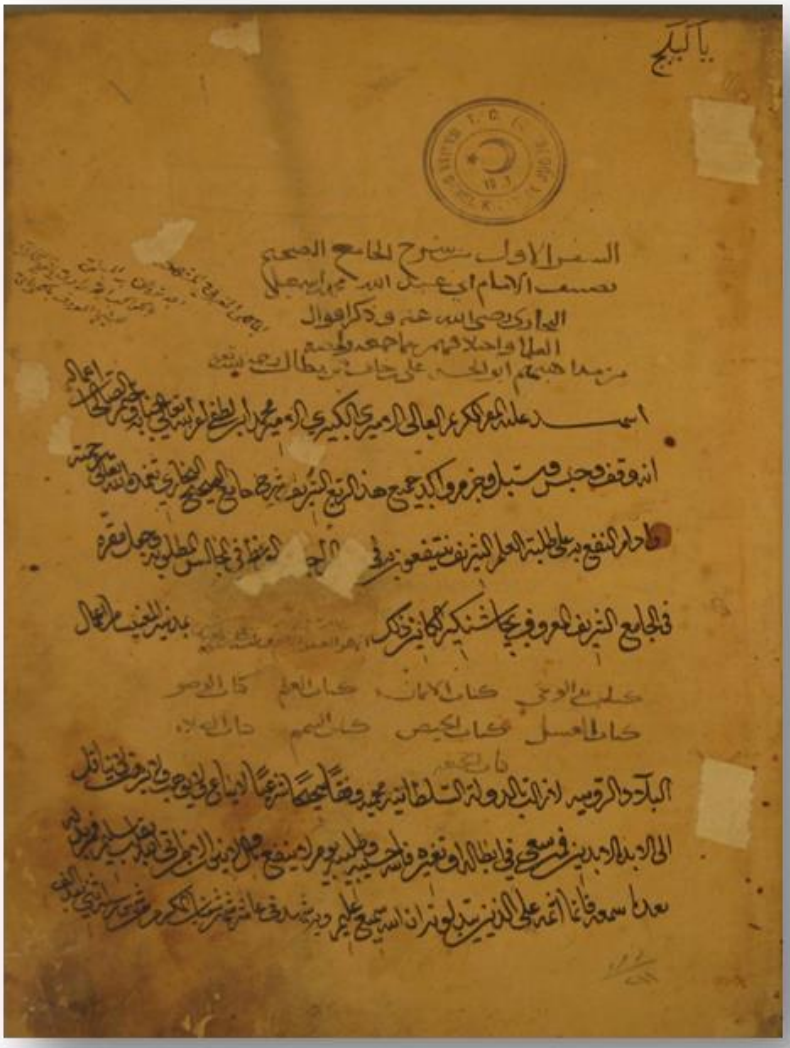

صفحة العنوان من نسخة مكتبة (مانيسا) العامة للجزء الأول والثاني، وهي من مصورات إدارة المخطوطات الكويتية

صفحة العنوان من نسخة مكتبة (تشيستربتي)
وهي من مصورات إدارة المخطوطات الكويتية

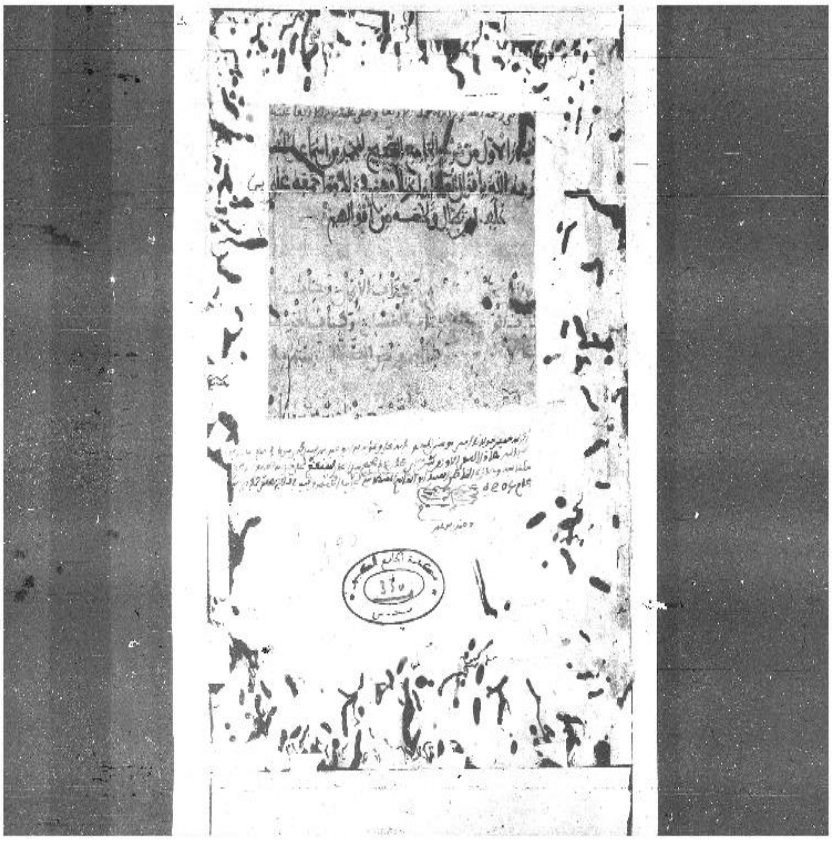

صفحة العنوان من نسخة الجامع الكبير باليمن
وهي من مصورات جامعة الملك سعود

المطلب الثاني: منهج ابن بطال الذي سار عليه (إجمالا).

تقدم أن ابن بطال لم يكتب مقدمة لشرحه، بل بدأ كتابه في شرح باب (كيف كان بدء الوحي)، ونحى منحى البخاري في تقديمه لحديث: ((**إنما الأعمال بالنيات**)) منوها على أهمية إصلاح النية في بدأ الكتابة، وفي سائر الأعمال .

وقد اجتهد بعض الباحثين في استنتاج منهجه من استقراء كتابه، وتلخص عندهم أن منهجه يدور إجمالا في النقاط الآتيه [1]:

١- يسرد أحاديث الباب بدون أسانيد بغرض الاختصار .

٢- نادرا ما يتكلم عن أسانيد الأحاديث .

٣- يشرح الألفاظ الغريبة .

٤- يعنى عناية فائقة بذكر أقوال المذاهب الفقهية، لا سيما أقوال الإمام مالك .

٥- يرجح، ويناقش ما يراه صوابا، وإن خالف مذهبه المالكي .

٦- قد يعرض المسألة بنقل أقوال العلماء دون ترجيح .

٧- اهتم كثيرا بالوعظ والزهديات والرقائق .

٨- نقله عن أئمة الإسلام، كابن جرير الطبري، والخطابي، والمهلب بكثرة .

موارده:

اعتمد الإمام ابن بطال على جملة من الكتب، وكان يحيل إليها أحيانا إحالة مباشرة إليها باسمها، وقد يحيل إلى المؤلف دون ذكر كتابه، ويعني به أشهر كتبه

(١) استفدت من مقدمة المحقق، وبحث الدكتور: محمد زهير «ابن بطال ومنهجه في شرح الصحيح»، ورسالة الماجستير لسعيد بن مشبب القحطاني: «أقوال ابن بطال في العقيدة وتقريراته في شرحه للبخاري» .

فيما يظهر، وقد يبهم النقل أحيانا، ويظهر أنه ليس من كلامه، لاختلاف الأسلوب والعبارة، ولكنه اعتمد في الجملة بالنقل عن جملة من العلماء؛ مثل [١]:

١- الإمام الطبري .

٢- ابن المنذر .

٣- المهلب بن أبي صفرة، وقد أكثر من النقل عنه .

٤- الخليل بن أحمد .

وغيرهم من العلماء الذي تفنن بالنقل عنهم في مواضع عديدة من كتابه .

المطلب الثالث: مميزات شرح ابن بطال على صحيح البخاري.

- يعتبر من أقدم الشروح التي وصلت إلينا لصحيح الإمام البخاري .

- امتاز بعنايته للجانب الفقهي للمسألة التي يعرضها، وذكر مذاهب العلماء فيها، وإن كان مالكي المذهب، إلا أن هذا لا يعني تعصبه ومحاباته للمذهب، بل كان منصفا موضوعيا في طرحه لمسائل الخلاف، ويذهب مع الصحيح مع من كان من العلماء .

- عنايته بالآثار الواردة في المسألة التي يعرضها، في التفسير أو الأحكام .

- يعتبر مرجعا حديثيا مهما للمذهب المالكي، إذ قد أكثر النقل عن الإمام مالك، وعن علماء المذهب .

- يعتبر مرجعا فقهيا في المسائل الفقهية الموازنة .

- عناية العلماء به، فقل أن ينبري أحد لشرح الصحيح - بعد ابن بطال - إلا وقد استفاد من أقواله فيه، ونقله عنه، لاسيما الحافظ ابن حجر في «الفتح».

---

(١) ينظر: مقدمة التحقيق ٩/١

- تعرضه لمنهج البخاري في اختيار أحاديثه وترتيبِها: حيث تعقب البخاري في عددٍ من المواضع، واستشكل صنيعه فيها، ممّا دفع بعض العلماء - كابن حجر - للردّ عليه .

- عني عنايةً تامّةً بذكر الأحاديث الموصوفة بالاختلاف أو التعارض الظاهري، فكان له مسالكَ في دَفْعِه، مع بروز شخصيته في النَّقد، ولذا يعدُّ هذا الشرح من المراجع المهمّة في هذا الباب .

- عنايته بالغريب، وذلك بالرجوع إلى علماء اللغة، وكتب الغريب، لا سيما كتاب ابن فورك في الغريب «مشكل الحديث وغريبه»، ونقل عنه كثيرا من تقريراته العقدية .

المطلب الرابع: المؤاخذات على شرح ابن بطال لصحيح البخاري.

١- حذفه للأسانيد، وعدم ذكر سند البخاري والتعليق عليه، بل كثيرا ما يعلق الأحاديث بحذف سلسلة الإسناد ما عدا الصحابي .

٢- اختصاره للمتون عند عرضه لمتن البخاري، وقد يذكر الحديث بالمعنى .

٣- لم يتعرض المصنف لشرح كل كتب الصحيح، فضلا عن أبوابه، فهناك كتب لم يذكرها في شرحه (كبدء الخلق، والتفسير، والفضائل، ومناقب الصحابة، والمغازي) .

٤- انتقده الكرماني من ناحية إكثاره للمسائل الفقهية، بحيث خرج عن مقصود الكتاب، فقال: "غالب شرح ابن بطال في فقه الإمام مالك من غير تعرض لما هو الكتاب مصنوع له" [(١)]، ولا يسلم للكرماني هذا، وإنما أثر ميل ابن بطال الفقهي على شرحه، كما هو الحال في شرح ابن عبد البر على الموطأ، وغيره،

(١) «الكواكب الدراري» ٣/١

بل ولم يهملا الجانب الحديثي في الكتاب، ولا يعلم ما الذي أراده الكرماني بـ (مقصود الكتاب) حتى يعرف ما يخل به وما لا يخل، وإن الناظر في شرح ابن بطال ليجد اعتناءه بجميع الجوانب العلمية، إلا أنه غلب عليه الجانب الفقهي ولا يضير هذا شرحه رحمه الله .

٥- عدم العناية بتراجم الأبواب، وقد انتقد عليه ابن خلدون هذا الجانب فقال: "ولذلك يحتاج [أي صحيح البخاري] إلى إمعان النظر في التفقه في تراجمه لأنه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند أو طريق ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب. وكذلك في ترجمة وترجمة إلى أن يتكرر الحديث في أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم يستوف هذا فيه فلم يوف حق الشرح كابن بطال وابن المهلب وابن التين ونحوهم" [(١)] .

المطلب الخامس: طبعات الكتاب.

طبع الكتاب طبعتين فيما أعلم:

الأولى: طبعة مكتبة الرشد (في الرياض) بتحقيق: أبو تميم ياسر إبراهيم، وتقع هذه الطبعة في عشرة مجلدات، وهي الطبعة التي اعتمدتها في هذا البحث، وتعتبر جيدة في العموم، إلا أنها لم تعتن بجميع النسخ الخطية رغم توفرها وأقدميتها وضبطها عن غيرها .

الثانية: طبعة دار الكتب العلمية (بيروت) بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، وكانت عنايته منصبة على تخريج الأحاديث فحسب، ولم يضبط النص كما ينبغي، ولم يعتن بفروق النسخ الخطية، خلافا للطبعة الأولى .

(١) «تاريخ ابن خلدون» ١/٥٦٠

المبحث الثالث
نماذج من شرح ابن بطال على صحيح البخاري

سأذكر –هنا – بعض النماذج التي توضح منهج ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: النموذج الأول.

قال ابن بطال: "وفيه: عائشة رضى الله عنها، أن الحارث بن هشام، سأل رسول الله ح فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله ح: ((**أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس، – وهو أشده علي – فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني، فأعي ما يقول**)) . قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا .

وفيه: عائشة أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ح من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا، إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، ويتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو فى غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ((**ما أنا بقارئ**))، قال: ((**فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني**))، فقال: اقرأ، قلت: ((**ما أنا بقارئ، فأخذني الثانية فغطني حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلني**))، فقال: اقرأ، فقلت: ((**ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني**))، فقال: (اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم)، فرجع بها رسول الله ح يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد،

فقال: ((**زملوني زملوني**))، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: ((**لقد خشيت على نفسي**))، فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية، ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ح بخبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، يا ليتني أكون حيا، إذ يخرجك قومك . قال رسول الله ح: ((**أومخرجي هم؟**)) قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي" [(١)] .

أولا: المنهج الذي سار عليه من الناحية الإسنادية:

١- تعليقه للسند، إذ يحذف السند كله، ولا يثبت إلا الصحابي راوي الحديث، وهي عائشة ل، فقد قال البخاري في «صحيحه» عند هذا الموضع: "حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام سأل النبي ح ..." الخ [(٢)]، وعليه سار في غالب كتابه .

٢- يذكر بعض الأحاديث التي تذكر في الباب، فقد ذكر حديثا لابن

(١) «شرح ابن بطال» ٣٣/١

(٢) «صحيح البخاري» الحديث رقم (٢)

مسعود، وآخر عن أبي هريرة ب .

٣- يعتني بذكر الخلاف الذي يقع بين الرواة في ألفاظهم، قال: " قول يونس ومعمر: (بوادره) يعنى: ترجف بوادره، مكان رواية من روى: (يرجف فؤاده)" [١]، وقد يكون هذا من الناحية المتنية، إلا أن له تعلقا بخلاف الرواة، فجعلته هنا .

ثانيا: المنهج الذي سار عليه من الناحية المتنية:

١- العناية بغريب الحديث، فقد نقل عن شيخه المهلب فقال: "قال المهلب: قوله (مثل صلصة الجرس) يعني قوة صوت الملك بالوحي، ليشغله عن أمور الدنيا، ويفرغ حواسه للصوت الشديد، ليعي ما يقول" [٢] .

٢- يذكر الفوائد المستفادة من الحديث، والمسائل المستنبطة منه، ويصدرها بقوله: "وفيه ..." وقد يقول: "وفي هذا الحديث من الفقه ..."، وهو كثير في كتابه.

٣- عنايته بذكر الخلاف الوارد بين العلماء في بعض المسائل، فقد قال في مسألة أول ما نزل من القرآن: "وقوله: (اقرأ باسم ربك) يدل على أنها أول ما نزل من القرآن . وقال أبو الحسن بن القصار: فى هذا رد على الشافعي فى قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من كل سورة . وهذه أول سورة نزلت عليه، ولم يذكر فيها (بسم الله الرحمن الرحيم)" [٣] .

٤- نقله الكثير عن شيخه المهلب بن أبي صفرة .

٥- عنايته بإيراد كلام الإمام مالك في كل حديث .

---

(١) «شرح ابن بطال» ١/٣٨.

(٢) السابق ١/٣٦.

(٣) «شرح ابن بطال» ١/٣٧.

٦- لم يهمل الجانب الأصولي إذا أتت مناسبته، فقد قال في قوله خديجة تفريجا لكربة رسول الله (كلا والله ما يخزيك الله أبدا ...)، قال: "هو قياس منها على العادات" (١) .

المطلب الثاني: النموذج الثاني.

قال ابن بطال: "قال: وكان ابن عمر إذا رأى في ثوبه دماً وهو يصلي وضعه، ومضى في صلاته . وقال ابن المسيب، والشعبي: إذا صلى، وفى ثوبه دم أو جنابة، أو لغير القبلة، أو تيمم وصلى، ثم أدرك الماء في وقته لا يعيد .

وفيه: ابن مسعود، أن النبي ح كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابه جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلا جزور بنى فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، فجاء به، فنظر حتى إذا سجد النبي ح وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئا - لو كانت لي منعة - فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ح ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: ((**اللهم عليك بقريش**)) ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم . فذكر الحديث إلى قوله: فلقد رأيت الذين عد رسول الله ح صرعى فى قليب بدر" (٢) .

أولا: المنهج الذي سار عليه من الناحية الإسنادية:

الاختصار الذي سار عليه في غالب كتابه، من تعليق الأسانيد، واختصار الروايات .

(١) «شرح ابن بطال» ١/٣٨.

(٢) السابق ١/٣٥٥.

ثانيا: المنهج الذي سار عليه من الناحية المتنية:

١- عنايته بالغريب، ونقل عن أئمة اللغة، فقد نقل عن صاحب «العين» قوله: "ومعنى لا تسبخي عنه أي: لا تخففي عنه، والتسبيخ: التخفيف" [(١)]، ونقل أيضا عن أبي عبيد القاسم بن سلام قوله: "السلا: الجلدة التي يكون فيها الولد"[(٢)] .

٢- نقله للخلاف الواقع في مسألة الصلاة بالثوب النجس، واستوعب الخلاف في المسألة، وبدأ بأقوال الصحابة، ثم التابعين، ثم الأئمة المتبوعين، ثم أصحاب المذاهب .

٣- ترجيحه للمسائل الفقهية، وإن الراجح على خلاف مذهبه .

المطلب الثالث: النموذج الثالث.

قال ابن بطال: "وقال مجاهد: القسطاس: العدل بالرومية، ويقال: القسط مصدر المقسط، وهو العادل، وأما القاسط فهو الجائر .

قال أبو هريرة: قال النبى ح: ((**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**))" [(٣)] .

أولا: المنهج الذي سار عليه من الناحية الإسنادية:

حذفه للسند، والاكتفاء بالصحابي راوي الحديث .

ثانيا: المنهج الذي سار عليه من الناحية المتنية:

١- العناية بالغريب، والنقل عن أئمة اللغة، فقد قال في معنى القسط: "قال

(١) «شرح ابن بطال» ١/٣٥٨.

(٢) السابق ١/٣٥٨.

(٣) «شرح ابن بطال» ١٠/٥٥٨.

الزجاج: القسط: العدل" [١] .

٢- تحرير الخلافات العقدية، ونقاش أهل الكلام، فقد قال في مسألة الميزان: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، وتمثل الأعمال بما يوزن، وخالف ذلك المعتزلة، وأنكروا الميزان، وقالوا: الميزان عبارة عن العدل . وهو خلاف لنص كتاب الله" [٢] .

٣- اهتمامه بالرقائق والوعظ، فقد ذكر في شرحه لهذا الحديث ما ينبغي للمسلم من العناية في حسناته لترجح كفت حسناته، وأن لا يتحسر على ما فرط في جنب الله يومها .

المطلب الرابع: معالم منهج ابن بطال من خلال الأحاديث السابقة

١- تعليقه للأسانيد، فلا يثبت من السند إلا الصحابي راوي الحديث، وقد يذكر التابعي لمناسبة ما، كشرح لفظة غريبة، أو سؤال صحابي ونحوه .

٢- يورد بعض الشواهد لحديث الباب من خلال شرحه .

٣- يولي عناية بالخلاف الواقع بين الرواة في ألفاظهم .

٤- شحن كتابه بأقوال شيخه (المهلب ابن أبي صفرة)، ومحاولة جمع أقوال الإمام مالك في جل المسائل، فهو بحق: مصدر أساس لأقوال الإمام مالك .

٥- لم يهمل شرح الغريب في كتابه، ونقله المستفيض عن أئمة اللغة .

٦- يعتني بالفوائد المستفادة من الحديث، ويصدرها بقوله: "وفيه ..." .

(١) «شرح ابن بطال» ١٠/٥٥٩.

(٢) السابق ١٠/٥٥٩.

٧- كتابه يعتبر موسوعة فقهية مالكية، بل شاملة لغالب أقوال العلماء، ومنهجه أن يبدأ بنقل الخلاف من الصدر الأول، من أقوال الصحابة، ثم التابعين، ثم أقوال الأئمة المتبوعين، وأقوال المذاهب الفقهية .

٨- يوازن بين أقوال العلماء في المسائل الفقهية .

٩- يرجح، ويناقش، ويحرر، لكثير من المسائل الفقهية .

١٠- عناية بالوعظ والزهد بشكل كبير في كتابه .

١١- انبرى لمناقشة المذاهب المنحرفة من أهل الكلام وغيرهم .

هذا ما تبين لي من منهجه في هذه الأحاديث القليلة، وهذه العجالة السريعة، والله أسأل أن يتقبل ما عملته عنده بقبول حسن، وأن يغفر لي الزلل، ويرفع عني الوزر، فما قلت صوابا فمن الله وحده، وما خالفه فمني والشيطان، وأستغفر الله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

الخاتمة

وبعد فأختم هذا البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها من خلاله:

١- يعتبر ابن بطال من أوائل العلماء الذين شرحوا صحيح البخاري.

٢- شرح ابن بطال يعتبر مرجعا مهما للفقه المالكي، وإن كان في أصله شرح لمادة حديثية، لكنه اعتنى بالمذهب أيما عناية من خلال شرحه.

٣- برزت شخصية ابن بطال العلمية في شرحه للأحاديث، وذلك من خلال ترجيحاته وتصوياته وتحريراته لكثير من المسائل العلمية.

٤- استفاد ابن بطال على مؤلفات من سبقه من العلماء ممن شرح الصحيح كشيخه المهلب بن أبي صفرة، أو من اعتنى بغريب الحديث كاب فورك.

٥- سلك ابن بطال المنهج الاستدلالي في شرحه، وذلك من خلال كثرة النصوص التي ينقلها وأقوال السلف التي يوردها.

٦- اهتم ابن بطال في الناحية الحديثية في شرحه، وذلك في كثرة ذكره لمسائل علوم الحديث، والجرح والتعديل، وتعليله لبعض الأحاديث والآثار التي يستند إليها الفريق الآخر.

٧- لم يستوعب ابن بطال جميع الأبواب في صحيح البخاري، فضلا عن كل الأحاديث، بل كان يحذف الأسانيد من المتن ويكتفي بالصحابي أحيانا كثيرة.

٨- كل من شرح البخاري بعد ابن بطال استفاد من شرح ابن بطال إما تصريحا أو تلميحا.

فهرس أهم المصادر والمراجع

١. «**ابن بطال ومنهجه في شرح صحيح البخاري**» للدكتور: محمد زهير .

٢. «**أقوال ابن بطال في العقيدة وتقريراته في شرحه للبخاري**» لسعيد بن مشبب القحطاني، رسالة ماجستير؛ جامعة الملك سعود، ١٤٣٥هـ .

٣. «**الأعلام**»، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٤. «**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**» (**صحيح البخاري**)، للإمام البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥. «**الديباج المذهب**» لابن فرحون .

٦. «**الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**» لابن بشكوال .

٧. «**الكواكب الدراري**» للكرماني .

٨. «**الملل والنحل**» للشهرستاني .

٩. «**تاريخ ابن خلدون**» لابن خلدون .

١٠. «**تاريخ الإسلام**» للذهبي .

١١. «**تذكرة الحفاظ**» للذهبي .

١٢. «**ترتيب المدارك**» للقاضي عياض .

١٣. «**توضيح المشتبه**» لابن ناصر الدين .

١٤. «**سير أعلام النبلاء**»، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ط: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٥. «**شجرة النورة الزكية**» لابن مخلوف .

١٦. «**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**»، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

١٧. «**شذرات الذهب**» لابن العماد .

١٨. «**شرح صحيح البخارى**» لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

١٩. «**شرح صحيح البخاري**» لابن بطال .

٢٠. «**معجم المؤلفين**» لعمر كحالة .

٢١. «**معجم المؤلفين**»، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت،د. ط، د.ت.

٢٢. «**موسوعة الفرق والأديان المعاصرة**» لعلي الجهني .